نظرية تحليل الأخطاء

إن الهدف من هذا اللقاء هو شرح نظرية تحليل الأخطاء وعرضها والتي هي فرع من فروع علم اللغة التطبيقي في الدراسات اللغوية العربية القديمة التي قام بها العلماء العرب والتي أسهمت إسهاماً كبيراً في إثراء الدراسات اللغوية الغربية الحديثة في هذا المجال، والتي سارت على هَدْي منهج الدراسات العربية القديمة، مع شيء من التفصيل والتنوع والزيادة، وإن لم تُشِر صراحةً إلى تلك المصادر الأم التي استفادت منها ولهذا يطرح البحث الأسئلة التالية:

١- هل نظرية تحليل الأخطاء غربية النشأة؟

٢- هل اتبع العلماء العرب القدامى منهجاً واضحاً في هذا المجال؟

٣- هل وجدت دراسات عربية قديمة لتحليل الأخطاء؟

يرى علماء اللغة في أمريكا وأوربا: أن علم اللغة التطبيقي هو نتاج حضارتهم الحديثة، وخاصة نظرية تحليل الأخطاء. ويدَّعون أن هذه النظرية ظهرت وتأسست في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات من القرن العشرين وأن مؤسسها هو العالم اللغوي الأمريكي الفرنسي الأصل: كوردر (Corder) في كتاباته عن تحليل الأخطاء .

لقد ظهرت هذه النظرية لتعارض نظرية التحليل التقابلي التي ترى أن سبب الأخطاء، هو: التدخل، والنقل من اللغة الأم إلى اللغة الهدف، ولكن كوردر وآخرين عارضوا هذا الاتجاه، وقالوا: "إن سبب الأخطاء ليس التدخل من اللغة الأم فحسب، بل هناك أسباب أخرى داخل اللغة الهدف، وهذه الأسباب تطورية، مثل: أسلوب التعليم، والدراسة، والتعود، والنمو اللغوي، وطبيعة اللغة المدروسة، والتعميم، والسهولة، والتجنب، والافتراض الخاطئ، وغيرها كل هذه العوامل لها أثرها فيما يواجه الدارسون من مشكلات. وذلك بغض النظر عن أوجه التشابه والاختلاف بين لغة الدارسين، واللغة الثانية التي يتعلمونها في غالب الأحيان".

ويرى أصحاب نظرية تحليل الأخطاء: أنه عن طريق تحليل الأخطاء فقط نستطيع أن نتعرف على حقيقة المشكلات التي تواجه الدارسين في أثناء تعلمهم للغة، ومن نسبة ورود الخطأ نستطيع أن نتعرف على مدى صعوبة المشكلات أو سهولتها، وبناء على هذا، فلا حاجة لنا إلى التحليل التقابلي .

وللإجابة عن السؤال الأول من هذا البحث: نرى أن اللغويين العرب القدامى، تناولوا الأخطاء الشفوية خاصة والكتابية عامة، بشيء من البحث والدراسة والتفصيل وكانوا رواد هذا الميدان منذ القرن الثاني للهجرة وأول كتاب ظهر في هذا المجال هو كتاب "ما تلحن فيه العامة" للكسائي، المتوفى سنة ١٨٩هـ ويُعد هذا الكتاب باكورة الأعمال اللغوية التطبيقية في اللغة العربية - لا كما تذكر آل خليفة، من أن ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ، هو أقدم من ألف في هذا المجال - ثم توالت بعده الكتب تُفَصِّل في الموضوع بشكل دقيق، لما يقع فيه الناسُ من أخطاء.

إن المصطلحات التي استعملها اللغويون العرب القدامى في عناوين مؤلفاتهم للدلالة على الأخطاء كثيرة جداً؛ مثل: التصحيف، والتحريف، والرطانة، والغلط، والسهو، وزلة اللسان، والهفوة، وعثرات الأقلام، والأوهام، واللحن، والهَنَة، وسقطات العلماء، إلخ وعلى الرغم من أن اللغويين العرب لم يستعملوا كلمة "خطأ" في عناوين كتبهم إلا أنهم استعملوها في وصف الخطأ، نحو: "قد أَرَيْتَ فُلاناً مَوضع زيد"، بغير واو ولا يقال أَوْرَيْتُ، فإنه خطأ.

لقد أَلَّفَ العلماء القدامى الكتب في هذا المجال، وكانت تهدف إلى خدمة الفصحى، وتقويم ألسنة العامة، وتصحيح أخطائهم وأطلقت على هذه الأنواع من المؤلفات أسماءٌ تناسب الهدف الذي من أجله أُلِّفت. فتجد مثلاً العناوين الآتية: إصلاح المنطق، وتثقيف اللسان وتلقيح الجَنان، وتقويم اللسان، وتصحيح التصحيف وتحرير التحريف، والجمانة في إزالة الرطانة، والتنبيه على حدوث التصحيف، والتنبيه على غلط الجاهل والنبيه، ودرة الغواص في أوهام الخواص، والإبدال، والفصيح، وشرح مايقع فيه التصحيف والتحريف، ولحن العامة، وماتلحن فيه العامة، إلخ. فهذه العناوين تدل دلالة واضحة على الأخطاء التي يرتكبها الناس في أحاديثهم وكتاباتهم، وإن لم تستعمل كلمة خطأ فيها.

٢_ تعريف الأخطاء

من المصطلحات التي شاعت في هذا المجال: التصحيف، والتحريف، واللحن، وغيرها لتشير إلى الأخطاء التي يقعُ فيها الناس: أن هناك فرقاً بين زلة اللسان، والغلط، والخطأ. ويقصد بزلة اللسان: الأخطاء الناتجة من تردد المتكلم وما شابه ذلك. ويقصد بالأغلاط: هي الناتجة عن إتيان المتكلم بكلام غير مناسب للموقف. والأخطاء: هي ذلك النوع من الأخطاء التي يخالف فيها المتحدث أو الكاتب قواعد اللغة. ويضيف براون أن الخطأ، هو:

"انحـــراف عـــن القواعـــد النحويـــة التـــي يســـتخدمها الكبـــار فـــي لغـــتهم الأم".

أ- تـعريـف التصـحـيف

يُعـــرِّف الأصـــفهاني التصـــحيف بقولـــه : "هـــو أن يُقْـــرَأَ الشـــيءُ بخـــلاف ما أرادَه كاتِبُـهُ، وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته".

ويقـــول ابـــن ســـيده فـــي المحكـــم: " والمصَـــحِّف والصَّـــحَفِي: الـــذي يـــروي الخطأ عن قراءة الصحف باشتباه الحروف".

ب- تـعريـف التـحريـف

يُعـــرِّف ابـــن جنـــي التحريـــف قـــائلاً: "التحريـــف فـــي الكـــلام: تغييـــرُه عـــن معنـــاه. كأنـــه مِيـــل بـــه إلـــى غيـــره، وانحُـــرِفَ بـــه نحـــوه" كمـــا قـــال تعـــالى فـــي صـــفة اليهـــود: "يُحَرِّفـــون الكَلِـــمَ عـــن مواضِـــعِه". أي يغيـــرون معـــاني التوراة بالتمويهات والتشبيهات.

ت- تـعريـف الـلـحـن

يعـــرف ابـــن ســـيده اللحـــن بأنـــه: "خـــلاف الصـــواب فـــي الكـــلام والقـــراءة والنشيد".

وبعبـــارة أخـــرى يكـــون التصـــحيف خاصـــاً بتغييـــر نقـــط أو حركـــة الحـــرف دون تغييـــر صـــورته، والتحريـــف خـــاص بتغييـــر صـــورة الحـــرف. والجـــدول التـــالي يبـــيِّن لنـــا أنـــواع الأخطـــاء التـــي يمكـــن أن تقـــع في قراءة الكلمة العربية :

تغيير في النقط		تغيير في الحركات		تغيير في الحروف		تغيير في الإعراب
الكلمة	مقابلها	الكلمة	تغييرها	الكلمة	تغييرها	" أن اللهَ بريءٌ من المشركين
النوم	الثوم	جُمْهور	جَمْهور	الماظ	الماس	ورسولُهُ – ورسولِهِ"

وقيـــل: إن أول لحـــن سُـــمِعَ بالبصـــرة قـــولهم: عصـــاتي، وبعـــده قـــولهم: لَعلَّ لهُ عذر وأَنتَ تَلُوم .

وللتصـــحيف مزايـــا ومثالـــب ومـــن مثالبـــه أنـــه قـــد يجنـــي علـــى فاعلـــه ويهـــدر دمـــه. وقـــد يكـــون نافعـــاً فَيُنْجِـــي أصـــحابه مـــن المـــوت ولقـــد حـــدث هـــذا فـــي التـــاريخ العربـــي القـــديم ومـــن الـــذين جنـــى علـــيهم التصـــحيف وقـــتلهم الشـــاعر المشـــهور ابـــن الرومـــي، عنـــدما ســـئل عـــن "الجرامض"، على سبيل التصحيف والتهكم، فقال ابن الرومي:

سـألتَ عن خبـرِ الـجـرامـض طـالـباً علم الـجـرامـضْ

فـهـو الـجـرامـض حـين يُـقْـلَـبُ ضـارج فيـقال جارض

إلى قوله:

والصفع يحتاج إلى قرع يكون له مقابض

ومن الّلِحَى ما فيه فعل للمواسي والمقارض

وهجا الجماعة وأكثر من هجائهم، فشكاه الجلساءُ إلى القاسم بن عبيدالله، فتقدم إلى ابن فراس فسَّمه في خشكنانجة كانت منيته فيها.

وقد نفع التصحيفُ كما قد ضرَّ، فمن نفعه أنه لما حضرَ "محمد بن الحسن" إلى العراق اجتمع الناسُ عليه يسألونه ويسمعون كلامَه، فرفع خبره الحسدة إلى الرشيد وقيل: إن هذا يفتي بعدم وقوع الأعيان وعدم الحنث وربما يفسد عقولَ جندِك الذين حلفوا لك، فبعث بمن كبس مكانه وحمل كتبه معه، فحضر إليه من فتش كتبَه، قال محمد: "فخشيتُ على نفسي من كُتُبِ الحِيَل"، وقلتُ بهذا تروح روحي، فأخذت القلم ونقطتُ نقطةً، فلما وصل إليه قال: ما هذا؟ قلت: كتاب الخَيْل يُذْكَرُ فيه شياتُها وأعضاؤها، فرمى به ولم ينظر إليه". قلت فتخلّص بنقطة صَحَّفَت الحاء المهملة بالخاء المعجمة .

ومن التحريف الذي نفع ونجَّى من الهلاك أيضاً، قولُ أبي نواس وقد استطرد يهجو "خالصة" حظية الرشيد، فقال:

لقد ضَاعَ شِعْرِي عَلى بَابِكُمْ كَمَا ضَاعَ حَلْيٌ على خَالِصةْ

عندما سمعت هذا الشعر غضبت، وشكته إلى الرشيد، فأمر بإحضاره، وقال له: يا ابن الزانية تُعَرِّض بحظيتي، فقال: وما هو يا أميرَ المؤمنين، قال: قولك:"لقد ضاع شعري..." البيت، فاستدرك الفارطُ أبو نواس وقال: يا أميرَ المؤمنين لم أقل هذا، وإنما قلت:

لقد ضَاءَ شِعْرِي على بَابِكُم كَمَا ضَاءَ حَلْيٌ عَلَى خَالِصَة

فسكن غضبُ الرشيدِ ووصلَهُ، ويقال: إن هذه الواقعة ذكرت بحضرة القاضي الفاضل، رحمه الله تعالى: فقال: بيتٌ قُلِعَتْ عينه فأبصر .

٣_ منهج اللغويين العرب القدامى في دراسة الأخطاء اللغوية

لكي نجيب عن السؤالين الثاني والثالث من هذا البحث، ينبغي علينا أن نذكر إجراءات تحليل الأخطاء عند الغربيين أولاً، ومن ثم نردها إلى أصولها الأولى عند اللغويين العرب القدامى.

يعتمد محللو الأخطاء في بحوثهم اللغوية التطبيقية على ست خطوات وهذه الخطوات يمكن إجمالها فيما يلي :

١- جمع المادة
٢- تحديد الخطأ
٣- تصنيف الخطأ
٤- وصف الخطأ
٥- شرح الخطأ
٦- التطبيق العملي

أولاً: جمع المادة

وهذه الخطوة تتعلق بمنهجية البحث، وكيفية جمع المادة اللغوية، وعدد المتعلمين، وغيرها من المعلومات المفيدة ولقد جمع العلماء العرب القدامى الأخطاء عن طريقين: أولهما شفوي، وثانيهما كتابي فها هو ابن مكي مثلاً، يحدثنا عن جمع المادة اللغوية قائلاً : "ولقد وقفت على كتاب، بخط رجل من خاصة الناس وأفاضلهم فيه: وأحب أن تَشْتَهِدَ لي في كذا وكذا بالشين يريد تجتهد. ورأيت بِخَطِّ آخَرَ أكبَر منه وأعلى منزلةً، بيتَ شعر على ظهر كتاب، وهو قول الشاعر:

زَوَامِلُ للأسفارِ لا عِلْم عِندهمْ .

كتبه للأصفار بالصَّاد وأكثر الرواية فيه للأشعار.

وكتب إليَّ آخرُ من أهل العلم رُقعة فيها: وقد عزمت على الإيتيان إليك، بزيادة ياء.

فمن خلال هذه النصوص التي بين أيدينا، نلاحظ أن ابن مكي: جمع المادة اللغوية من عامة الناس وخاصتهم، شفوية وكتابية.

وأما حجم العينات التي اختاروها لدراساتهم فهي كبيرة جداً. فلقد جمعوا المادة اللغوية من جمهور الناس: عامتهم وخاصتهم، انظر مثلاً: ابن السكيت، وابن مكي، والحريري، والصفدي، والعسكري، إلخ.

وفيما يتعلق بالموضوعات التي عالجوها فهي متنوعة وكثيرة جداً وتشمل الموضوعات النحوية، والصرفية، والصوتية، والمعجمية، والبلاغية، والأسلوبية، والإملائية، وغيرها، انظر؛ ابن مكي، والزبيدي، وسيبويه، والجاحظ، والسيوطي، وابن هشام الإشبيلي، وأبو الطيب اللغوي، والزجاجي، والقالي، وثعلب، وابن جني في الخصائص في باب سقطات العلماء، إلخ وعلى الرغم من أن هذه

العمليـــة كانـــت نـــادرةً جـــداً فـــي مؤلفـــاتهم، إلا أنهـــم لـــم يهملوهـــا كـــل الإهمـــال، ولقـــد تطرقـــوا إليهـــا مـــن بـــاب الحـــرص علـــى صـــحة المـــادة التـــي يَدْرُسُـــونَها، والتنبيـــه علـــى أهميتهـــا. وقـــاموا بجمـــع الأخطـــاء وإحصائها بشكل دقيق. يقول العسكري في كتابه لحن الخاصة:

"لقـــد جـــاءني رجـــلٌ وبيـــده ورقـــةٌ مكتوبـــةٌ، وتحتـــوي علـــى كثيـــر مـــن الأخطاء. ولقد جمعت الأخطاءَ فيها، فوجدت فيها ٧٠ خطأً".

ويقـــول أيضـــاً: وقـــد ادَّعـــى خلـــف الأحمـــرُ علـــى العُتْبِـــيِّ أنـــه صَـــحَّفَ هـــذا فقال في قصيدة عَدَّدَ فيها تَصْحِيْفَاتِه:

وفـي يَـوْم صِـفِّينَ تَـصْحِيفَةٌ وأُخـرَى لـه فـي حـديثِ الـكُلاب

مـــن خـــلال هـــذين الكتـــابين نجـــد أن اللغـــويين التطبيقيـــين العـــرب، لـــم يغفلـــوا هـــذا الإجـــراء كـــل الإغفـــال، وإنمـــا أشـــاروا إليـــه بشـــكل مـــوجز وبسيط.

ثانياً: تـحديـــد الـخطـــأ

يقـــول محللـــو الأخطـــاء: إن عمليـــة تحديـــد الأخطـــاء ليســـت بـــالأمر الســـهل، كمـــا يظـــن بعـــض علمـــاء اللغـــة ولـــذلك يجـــب علـــى الباحـــث فـــي تحليـــل الأخطـــاء، أن يكـــون عالمـــاً باللغـــة التـــي يَبحـــثُ فيهـــا، ويَدْرُسُـــهَا جيـــداً، لكـــي لا يُخَطِّـــئ الصـــواب، ويُصـــوِّب الخطـــأ؛ كمـــا قـــال ابـــن مكـــي آنفـــاً (انظـــر؛ جمـــع المـــادة أعـــلاه). وهنـــا يجـــب علينـــا أن نشـــير إلـــى أن العلمـــاء العـــرب، قـــد حـــددوا الأخطـــاء التـــي درســـوها بشـــكل واضـــح ودقيق؛ ومن ثم قاموا بدراستها. هاكم الأمثلة التالية:

يقولون: رَجُلٌ "شَحَّاثٌ" .

يقولون في جمع (عِضة): عِضات.

قال الراجز :

يـا قَبَّـحَ اللهُ بـني السعلات عَمْرو بـن يـربوع شِـرار النـاتِ

لـيسوا بسـاداتٍ ولا أكـياتِ

إذا كانـــت هـــذه الأمثلـــة تحتـــوي علـــى الأخطـــاء، وجـــب علينـــا أن نحـــددها أولاً؛ وذلـــك بوضـــع خـــط تحتهـــا، أو أن نجمعهـــا ونكتبهـــا علـــى ورقـــة أخرى.

ثالثاً: تـصنـيـف الـخطـــأ

إن عمليـــة تصـــنيف الأخطـــاء، تتطلـــب منـــا مرونـــة كبيـــرة، وأن نجعـــل الخطـــأ يحـــدد الفئـــةَ التـــي يجـــب أن ينضـــم إليهـــا ويمكننـــا أن نصـــنف الأخطـــاء تحـــت فئـــات مختلفـــة مثـــل: الأخطـــاء النحويـــة، والصـــرفية،

والصوتية، والبلاغية، والأسلوبية (تحليل الخطاب)، والمعجمية، والإملائية، والأخطاء الكلية، والجزئية، وغيرها ويمكن أن يُصنف الخطأ الواحد في فئتين أو أكثر.

ولقد صنف اللغويون العرب القدامى الأخطاءَ في مؤلفاتهم بدقة بالغة؛ فها هو الزبيدي مثلاً، يقول في كتابه لحن العوام:

"كنا قد أَلَّفْنَا فيما أفسده عَوَامُّنا وكثير من خَوَاصِّنا، كتباً قَسَّمناها على ثلاثة أقسام: قسم غُيِّرَ بناؤه وأُحِيل عن هيئته، وقسم وُضِع في غير موضعه وأُرِيد به غيرُ معناه، وقسم خُصَّ به الشيءُ وقد يَشْرَكهُ فيه ما سواه".

وكذلك تحدث ابن مكي عن هذه الخطوة قائلاً: "فجمعت من غلط أهل بلدنا ما سمعتُه من أفواههم... وعلقتُ بذلك ما تعلق به الأوزان، والأبنية، والتصريف، والاشتقاق، وشواهد الشعر، والأمثال، والأخبار، ثم أضفت إليه أبواباً مُستطرفة، ونُتفاً مستملحة، وأصولاً يُقاس عليها. ليكون الكتابُ تثقيفاً للسان، وتلقيحاً للجَنان، ولينشط إلى قراءته العالِمُ والجاهِلُ، ويَشترِكَ في مطالعته الحالي والعاطلُ. وجعلته خمسين باباً، هذا ثَبَتُها؛ منها مثلاً: باب التصحيف، وباب ما غيَّروه من الأسماء بالزيادة، وباب ما غيَّروه من الأفعال بالنقص، وباب غلطهم في التصغير، وباب ما وضعوه غير موضعه... إلخ. وإنما ابتدأت بالتصحيف؛ لأن ذلك كان سَببَ تأليف الكتاب، ومفتاحَ النظر في تصنيفه، ثم أتبعته كلاماً يَليق به أو يُقاربه"

ومن خلال هذين النصين نجد: أن اللغويين العرب صنفوا أخطاءهم تصنيفاً صحيحاً ودقيقاً. ونحاول فيما يلي أن نتحدث عن وصف الخطأ.